حنا مينه

عصر التكنولوجيا عصرنا أيضا

الذين قالوا ، بعد نكسة حزيران ، ان التكنولوجيا سببها ، وقعوا في شيء من التعميم .

الاصح ان التكنولوجيا أحد اسبابها ، ولكن هذه التكنولوجيا صارت ، كالتخلف ، مشجبا طالما علقنا عليه ألبسة الحقائق مقلوبة ، فلم نر الا البطانيات منها .

الآن ، وبعد معارك تشرين ، جاء الوقت لكي نعيد ما علقناه مقلوبا الى وضعه الطبيعي ، المبرهن عنه بمنطق احداثنا ، بعد ان برهنت عنه احداث غيرنا منذ زمن بعيد .

ومن هذه البرهانات ان التكنولوجيا أساس منجزات عصرنا ، ولكنها تكنولوجيا في خدمة العصر ، ولمصلحة قضاياه الرئيسية ، وهذا العصر ، بهذا الامتلاك التكنولوجي ، هو عصرنا بقدر ما هو عصر غيرنا ، بل هو عصرنا أكثر من غيرنا ، لاننا مع مسيرته ولسنا ضدها ، ولاننا المدافعون عن تقدمه بينما أعداؤنا يحاولون عبثا اعادته الى الوراء .

ولن نحيل الى التاريخ . حسمت ، الآن ، مقولة ان التاريخ يعيد نفسه ، وحسمت أكثر حقيقة انه لا يرجع أبدا الى وراء ، وان النصر ، في الصراع الدائر لاجل التحرر والتقدم ، حليف المناضلين على جبهة التحرر والتقدم ، الجبهة العريضة ، المنيعة ، التي نحن ركن من أركانها الهامة .

بهذا المقياس ، يملك العرب منجزات تكنولوجيا العصر ، وفوقها الطاقة النفطية التي بدونها لن تحقق التكنولوجيا العلمية التكنولوجيا الانجازية ، بينما لا يملك أعداؤنا سوى منجزاتها ، لان طاقتها المحركة في أيدينا وحدنا .

يبقى ، اذن ، استخدام هذه المنجزات التكنولوجية والاسهام في صنعها تدريجيا ، والعرب شرعوا بالتصنيع ، ودخلوا عصره ، وهم يستخدمون منجزات التكنولوجيا وبالشكل الذي أثبتت كفاءته معارك تشرين ، وبذلك حطموا وهم تخلفنا في هذا المجال ، حطمته مآثر وبطولات تشرين في جملة ما حطمت وستحطم من أوهام وخرافات.

وقبلنا ، في فيتنام ، تحطمت ايضا خرافة العجز عن الاستيعاب التكنولوجي للعصر ، تمرغت هيبة التكنولوجيا الاميركية العدوانية في مستنقعات الارز على أيدي ابطال صارت بطولتهم قدوة ومنارة ، أبطال هم مثلنا أصحاب قضية عادلة ، وهم مثلنا تعرضوا للعدوان فدفعوه ، وصمدوا في دفاعه حتى استخذى وانحسر وانسحب مهزوما محمولا على السفن التي جاء بها .

ان الشعوب ، في عصرنا هذا ، وفي وحدة نضالها وأهدافها ، قادرة على استخدام منجزات التكنولوجيا اذا لم تكن قادرة على صنعها بذاتها ، وفي هذا الاستخدام تتفوق ، لان الايمان بعدالة الهدف هو تفوق اضافي ، ولان الارادة على النصر تعلم الانسان وتجيد تعليمه في كل الميادين وخلال المعارك الدائرة بالذات .

فيا أبطالنا الذين تصنعون على أرضنا المعجزة التي صنعها الابطال الفيتناميون على أرضهم ، انكم بما تأتون من ضروب الشجاعة والكفاءة ، وبما تبذلون من دم هو ماء حياتنا ، وعطر سمعتنا ، وشرف كرامتنا ، لا تحققون الانتصارات وحدها ، تحققون الحقائق نفسها ، تزيدونها نورا على نور ، وترسيخا على ترسيخ .

البعث
١٨ تشرين الاول

شهادات للفخر .. وللوفاء

الصحفيون الذين يصلون دمشق لتغطية أنباء المعارك الدائرة يدهشهم ـ وبدقة الكلمة ـ ان الحياة في دمشق بله في قطرنا العربي السوري كله ، طبيعية ، وان وجوه الناس مشرقة ، واثقة ، زاخرة بالحماسة والتصميم ، ولكن الناس ، في قلب ظروف الحرب ، يمارسون اعمالهم ، في المرافق التي هم فيها ، باقبال وحمية وقدرة على الابداع والانجاز ، تعطي فعاليتهم من خلالها أفضل مردودها ، وتعد بما هو اكثر بكثير .

ونقلت برقيات هؤلاء المراسلين ، من القاهرة والمدن المصرية الاخرى ، وكذلك من بغداد والمدن العراقية ، ومن كل العواصم والمدن العربية ، الصورة ذاتها ، الحياة الطبيعية ، الحماسية ، المزهوة والمنتجة معا ، في تنظيم لا يعود سببه الى الادارة وحدها ، بل الى روح الجماعة العربية ، القابلة لهذا التنظيم ، في انضباطية وعفوية وشعور بالمسؤولية ، أتاح لها في جملة ما أتاح ، ان تتكيف ، وتستجيب وتلبي نداء الواجب تلقائيا ، وبصدق في العزم واندفاع واع الى الهدف .

ان المرء وهو يكتب عن اشيائه الايجابية ، مطلوب منه الحذر من المبالغة ، فالصدق ، في تقييم الواقع ، يفسح في رؤية أرضيته

من كل نواحيها ، ويسمح بتلافي النواقص وتطوير الايجابيات ... وشهادات مراسلي الصحافة الاجنبية تزيد الثقة في قدراتنا ، وتدفعنا الى وضعها في صالح المعركة الى اقصى الامداء .

وهذه الشهادات تتضاعف أهميتها حين تكشف رسائل الصحف الاجنبية من ارض العدو ، حالة الاضطراب السائدة فيها ، وازمة القلق النفسي التي يعانيها الاسرائيليون ، والشلل الذي اصاب مرافقهم ، والتدهور الاقتصادي الذي يعمق التدهور المعنوي ، ثم التدهور المعنوي الذي يعمق التدهور الاقتصادي والاجتماعي في اسرائيل كلها .

وكمن يفيق من حلم لذيذ على واقع كابوسي اليم ، يفيق الاسرائيليون من هناءة حلمهم القصير الآن ، يفتح مهاجروهم اعينهم المذعورة على حقائق تتبدد معها الطمأنينة التي وعدوا بها ، وتتبخر الوعود المضللة في عيش آمن رغيد ، تزدرد فيه معدهم ما اغتصبوه في عدواناتهم ازدرادا هينا ليننا ، بغير خوف من عقاب ، حسبوا انه لن يطولهم ، لانهم ، في وهمهم ، لا يطالون ، ولان الذين اغتصبوهم لا يجرؤون ولا يقدرون على ذلك .

قال لي مراسل من احدى الدول الصديقة صباح امس ، انه كان مراسلا لصحيفته في هانوي البطلة ، عاصمة جمهورية فيتنام الديمقراطية ، لمدة ثلاث سنوات ، وانه ، ثمة ، راى معجزة فيتنام الشرق الاقصى ، وجاء الى هنا ، الى بلادنا ، ليشهد معجزة فيتنام الشرق الاوسط ، وانه ، بصادق القول يشهدها وما كان ليقدر الانجازات العربية التي تحققت ، على الجبهة وفي المؤخرة ، لو لم يعشها بنفسه ، ويراها بأم عينيه .

ان هذه الكلمات تتوارد بلغات وصيغ مختلفة على ألسنة واقلام مراسلين من كل البلدان ، والاذاعات العالمية تتلقاها وتبثها ، ونحن نسمع والعالم يسمع ، فالحقيقة رمح لا يخبأ في كيس ، والشمس لا تحجب بالاكف ، انه الواقع العظيم لامة عظيمة تستعيد نفسها ومجدها وتشق الصخر دربا الى غدها .

يشبهوننا بفيتنام البطلة ؟ يا لشرف التشبيه ، ويا للمسؤولية التي نحملها في الوفاء به وله وفي صيانته كنور العيون الى ان تكتحل العيون بالنصر ، والنصر آت لا ريب فيه .

البعث
٢٣ تشرين الاول

كل الغابات صالحة

ـ هل تعرف كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
ـ يطلقون عليها النار طبعا .
ـ اطلاق النار احدى وسائل قتل البوا ، ولكنها قد لا تموت ، وعندئذ يقضون عليها بوسائل مكملة .
ـ مثلا ؟
ـ يزرعون الغابة من حولها بالشفرات والمسامير ، فاذا زحفت فوقها مزقتها وأسالت الدماء من اماكن كثيرة في جسمها ، وفي هذه الحال يأتي دور النمل الرهيب ، يلاحقها وينهشها حتى يقضي عليها .
ـ هذه طريقة معروفة ، وكانت مستعملة في الماضي لقتل بعض الوحوش ، وقد تحدث عنها الجاحظ في كتابه « الحيوان » .
ـ وهي طريقة لا تزال صالحة . الوحش الذي تضربه مرة ، كن مستعدا لضربه مرات . ونوّع الضربات ، واستخدم الوسائل المكملة للاجهاز عليه ، او طرده من الغابة .

افعى البوا التي ضربناها جريحة . الوحش الذي أسلنا دماءه لندفع عنا عدوانه ونضطره الى الانسحاب من غابتنا ، لا يزال يلعق جراحه ليداويها ، وهو الآن أشد شراسة ومكرا ، لانه بعقل الانسان يفكر ، وبالنزعة العدوانية للوحش سيعاود الانقضاض والنهش ، وبمكر الافعى التسلل واللدغ ، ولن يتوقف طويلا اذا هو اضطر الى التوقف قليلا ، والمعركة معه ستظل دائرة ، تنتقل من صعيد الى آخر ، وتأخذ أساليب متنوعة ، ينبغي لنا ان نعد لها عدتها ، ونستخدمها باكبر طاقة ، واعلى يقظة واستعداد .

سبع سنوات ظل الفيتناميون ، كصيادي افريقيا ، كالصيادين من أجدادنا ، يلاحقون وحش العدوان الاميركي الجريح حتى اخرجوه من أراضيهم . لاحقوا افعى البوا المحمولة في عنابر السفن الحربية من واشنطن الى هانوي ، وضربوها بكل الاسلحة التي في أيديهم ، من الصاروخ الى المنجل ، من المدفع الى الخنجر ، من الانفاق الى الفخاخ المغطاة بالعشب كالحفائر العربية الشهيرة ، من مظلات الاشجار المتحركة على الرؤوس ، الى أوكار النمل الموجهة باتجاه معسكرات العدو .

الفيتناميون عندهم غابات ؟

ولكن الغابات ليست أدغالا من شجر فقط . الغابات احراج من حجر ايضا ، ومستنقعات من مياه ، وآبار من بترول ، وصناديق من أرصدة ، وبيارات للبرتقال ، وحقول للزيتون .

والارض تصير انفاقا هنا كما صارت هناك ، والفخاخ والكمائن عندنا كما عندهم .

وكما على الجبهة الحربية تتعدد الاسلحة ، وتضرب من مواقع واتجاهات مختلفة ، تتعدد على الجبهة السياسية ، ويتنسق العمل على الجبهتين ، وكل حركة للعدو تقابل بمثلها ، وأضخم منها.

الفيتناميون كان عندهم غابات ؟ وعندنا ؟ وهذا الغابي لنا ؟ وهذه المصالح الغابية لاعدائنا في أرضنا ، تحتاج ـ وهي القابلة للاحتراق ـ الى اكثر من شرارة تشعل السهل كما يقول المثل ؟

ـ هل تعرفون كيف يصطاد الافريقيون افعى البوا ؟
ـ وهل تعرفون كيف كان الصيادون من أجدادنا يتعقبون الوحش الذي جرحوه بالنبال ؟
كل الغابات صالحة للصيد ..
ما تبقى شغلة الصياد ..

ونحن ، عشرين يوما واكثر ، أثبتنا اننا في الصائدين ..

اصطدنا على جبهة القتال ، وسنصطاد على جبهة السياسة ، وعليهما معا ، كما الفيتناميون ، نعمل عند الضرورة ، ومثلهم نعود للصيد على جبهة الحرب اذا عاد الوحش ، ولم يخرج من غابتنا ، من أرضنا .

المهم ان تظل العين على عدسة الرصد ، والبندقية في اليد ، والجندي في المتراس ، والمواطن في مرفق الانتاج ، والارادة على القتال والتضحية في صلابة الصخر وشحنة التوتر ، طلابا للحق وغلابا لاجله في أعلى درجاتها ، والتعبئة الشاملة ناشطة على أعلى مستوياتها ، وان نقابل كل ضربة للعدو بضربة أقسى منها ، وان نعمل ما يعمله صيادو الافاعي والوحوش ، يضربونها عندما تفح ، ويتربصون بها عندما تلطي ، ويلاحقونها عندما تنساب بكل الاسلحة ، الى أن يقضوا عليها او تنسحب الى وكرها .

البعث
٢٧ تشرين الاول